



بعد مرور خمسة أعوام على اندلاع الربيع العربي وأكثر من عامين على محاولات إعاقته، لم تتمكن قوى الشد العكسي والقوى المضادة للتغيير والثورة في دول الربيع العربي من إعادة الوضع السياسي إلى ما قبل الربيع الذي اندلع عام 2011.

استمرت قوى التغيير والإصلاح بالتأثير في المشهد السياسي العربي عموما، وفي دول الربيع العربي خصوصا، حتى في ظل جهود العزل والاجتثاث والإقصاء والتهميش بل والملحقة الأمنية التي تعرضت لها قوى الثورات وفي مقدمتها الحركة الإسلامية (تيار الإسلام السياسي المعتدل) بوصفها الحامل الأهم للثورة والتغيير والإصلاح، وكثير من حلفائها في الثورة والتغيير في مختلف الأقطار العربية، برغم افتقارها للدعم الإقليمي والدولي المؤثر.

وما زال المشهد السياسي في هذه الدول يشهد تحولات وتغيرات ترفض العودة إلى الخلف، كما ترفض قبول الأمر الواقع ما بعد الارتداد على الربيع، وذلك رغم إدخال البلاد في كل من ليبيا واليمن وسوريا في حروب أهلية، وإدخال مصر في حالة عدم استقرار وأعمال عنف وتوتر أمني عالي المستوى، وإضعاف التحولات السياسية في تونس وإيطاليا، ولذلك فقد تكاثر اللاعبون الإقليميون والدوليون من ذوي المصالح في كل هذه البلاد حيث الفوضى وأعمال العنف والإرهاب وعدم الاستقرار.

وفي المقابل استمرت حالة الاستقرار السياسي والأمني في كل من الأردن والمغرب اللذين شهدا عمليات إصلاح سياسي غير مكتملة نحو الديمقراطية، لكنها وجدت قبولا مرحليا من عموم المجتمع، رغم محاولات إدخالها في منظومة الفوضى من قبل أطراف متطرفة ومن بعض الدول ذات المصلحة في ذلك، غير أنها كرست ثقافة الإصلاح السياسي بديلا للعنف والفوضى والثورة في لحظة التقاء سياسي بين أنظمة الحكم والقوى السياسية المعاشرة، مع استمرار التباين والاختلاف

في ضوء ذلك، فإن التحولات النوعية التي تشهدها دول الربيع - خاصة في سوريا واليمن - تعطي مؤشرات جديدة على اتجاهات التحول المحتملة في مسار الربيع العربي، كما تخلق هذه التحولات حالة من الترقب وإعادة النظر في مواقف وسياسات بنيت سابقاً على أساس مواجهة تيار الإسلام السياسي، ومواجهة مطالب الشعوب بالديمقراطية والحرية.

وساعد على تشكيل حالة الترقب هذه تداخل الملفات الأمنية والسياسية والاقتصادية بشكل ربما لم يكن مقصوداً، مما جعل الاستقرار في المنطقة مهدداً برمته، سواء بفعل مغامرات استخباراتية تدعم منظمات إرهابية، أو تشجع إثارة الفوضى، أو تتواءماً مع عمليات اجتثاث أمني ضد قوى الإسلام السياسي عموماً، وأحياناً على أساس طائفية كما في حالتي العراق وسوريا.

لذلك فإن قرار السعودية مواجهة تزايد النفوذ الإيراني في اليمن، وزيادة دعمها للمعارضة السورية لمنع إيران من تحقيق أهدافها في سوريا، وتردد دعمها للنظام السياسي الحالي في مصر ما بعد الربيع، ربما فتح الباب على تحولات لم يحسب لها معارضو الربيع حساباً دقيقاً، ويدت بذلك أجذدة بعض الدول عاجزة عن التعامل مع هذه التحولات، وربما تكون بحاجة إلى مساعدة للنزول عن السلم.

من جهة أخرى فقد شكل التدخل الروسي العسكري المباشر في الحالة السورية استفرازاً عميقاً لمنظومة مصالح إقليمية ودولية، ودفعها إلى إعادة النظر في سياساتها القائمة على عدم الانخراط في الصراع بشكل مباشر، وبرغم نجاح الولايات المتحدة في محورة سياساتها حول محاربة الإرهاب وتنظيم الدولة (داعش) على وجه الخصوص، غير أن هذه السياسة لم تحقق النتائج والأهداف المعلنة لها، كما زاد ذلك من حدة الاستقطاب الإقليمي لقناة الجميع بأن أجهزة استخبارية عديدة تقف وراء دعم تنظيم داعش.

وتساد الساحة السياسية تقاذف المسؤولية عن دعم هذا التنظيم إقليمياً ودولياً، مما أربك التوجه الأميركي والغربي، وشجع روسيا على الانخراط المباشر في حماية النظام السوري، ومنع المعارض السورية من الوصول إلى الحكم.

تحولات مرقبة:

وبذلك يمكن القول إن ثمة تحولات مهمة ونوعية تبلور، ستدفع بالمشهد السياسي إلى مربعات جديدة ومحدّدات أكثر وضوحاً، ربما يكون عنوانها تحقيق الاستقرار، وهي:

- تنامي الأزمة في العلاقات الدولية، وتبليورها على شكل تحركات وحشودات عسكرية لم تشهد المنطقة مثلها منذ عقود، مما يهدد كيانات دول إقليمية ومصالحها، ويدفعها للعودة إلى سياسة المحاور القديمة إبان الحرب الباردة، ويلقي بظلال التخوفات من أي مواجهات عسكرية محتملة حتى لو كانت محدودة، الأمر الذي قد يدخل المنطقة لأول مرة في مقدمات صراع دولي عسكري مباشر، وهو ما تسارع مختلف الأطراف إلى بذل الجهد لمحاوله تجنبه.

ومن شأن هذا أن يجعل من السعي الدولي والإقليمي لحلول سياسية للأزمات القائمة، ولاستعادة الاستقرار واستئناف عمليات الإصلاح والتغيير السياسي بتنازلات متبادلة من مختلف الأطراف، أساساً لسياسات دولية وإقليمية جديدة في المنطقة، تهدف إلى منع اندلاع أي مواجهات إقليمية أو دولية مسلحة فيها، ولاحتواء ظاهرة التطرف والإرهاب والعنف في وقت واحد.

- فشل الحملة الدولية لمحاربة تنظيم الدولة (داعش)، وتزايد الشكوك السياسية والأمنية حول جدية هذه السياسات وأهدافها

أصلا، بينما رفع ذلك من منسوب عدم الثقة في هذه الدول من جهة، وزاد من حدة الفوضى في المنطقة من جهة أخرى، وجعل من داعش علامة "تجارية" للمتاجرين بالإرهاب تنفيذا واستغلالا، يستخدمها من شاء في أي وقت وأي مكان لتحقيق أهدافه الخاصة، الأمر الذي تسبب في تضخيم حقيقة الظاهرة، وزاد من صعوبات القدرة على إنهائها.

- **تزايد الضجر الشعبي من فشل القوى التي حكمت على أنقاض الربيع أو التي أسقطت حكومات ما بعد الربيع** سواء في مصر وتونس واليمن ولبيبا، ناهيك عن الإنهاك الذي أصاب جميع الفرقاء من اتساع دائرة الحرب الأهلية في سوريا لتحول إلى عملية اجتثاث للشعب السوري ولسوريا دورها العربي وتدخلات دولية وإقليمية متضاربة الرؤية والمصالح. كما تزايد الضجر من القوى التي تحارب قوى الربيع بالسلاح كما في ليببيا واليمن.

- **تنامي قدرة الحركة الإسلامية (تيار الإسلامي المعتدل) وخلفائها الوطنيين والإقليميين على الاستمرار** والتعايش مع المتغيرات وتحمل الضربات واللاحقات في دول الربيع، ونجاح تجربتها في الحكم في المغرب، وتحقيق الحزب الحاكم في تركيا (المحسوب على تيار الإسلامي السياسي المعتدل) فوزا كبيرا في الانتخابات البرلمانية، الأمر الذي قوى من عود هذه الحركة وصلابتها، ونمى الثقة لديها في قوتها السياسية وقدرتها على الاستفادة من فرصة التحولات النوعية الجارية.

وقد شجع تقارب تركيا مع دولة قطر، وتطور علاقات تركيا بالسعودية على هذا التحول في التفكير لدى تيار الإسلام السياسي، خصوصا أن دوره يُعد حاسما في كل من سوريا ولبيبا واليمن بالنسبة لهذه الدول، حيث يشكل أفضل الرهانات لاستعادة الاستقرار وتحجيم نفوذ إيران ووقف الإرهاب وأعمال العنف في البلاد.

عودة الربيع

ولذلك فإن الشرق الأوسط بعمومه مقبل على تحولات سياسية كبيرة خلال العام 2016، أساسها إعادة الاستقرار واستئناف عمليات الإصلاح السياسي، وقيادة مصالحات وطنية وإقليمية واسعة، ستقود إلى استئناف عملية الربيع العربي لدورها، ولكن بمعادلات جديدة، لاستكمال بقية الأهداف التي من أجلها اندلعت، خاصة ما يتعلق منها ببناء أنظمة سياسية توفر أجواء أفضل للحربيات العامة.

هذا فضلا عن اختيار حكومات تتمتع بالشرعية الشعبية وخاصة في دول الربيع الخمس، وتحقيق الشراكة الوطنية في نقل البلاد من حالة الصدام والتنازع إلى تحمل المسؤولية في تحقيق الديمقراطية والتنمية وحماية الحريات العامة، وقيادة مصالحات تاريخية تقوم على التنازل لشريك الوطن بديلا عن الرهان على قوى المجتمع الدولي، حيث يتوقع أن يكون لتيار الإسلام السياسي دور أساسي وحاسم في إنجاح هذه التجربة مستندا إلى تجربته الصعبة في سنوات الربيع الأولى ودروسها القاسية!

أسئلة صعبة:

وثير في ظل هذه التحولات الممكنة وتوقعات اتجاهاتها أسئلة صعبة ليس أمام الأطراف المعنية إلا الإجابة عليها بصدق ودقة، وأهمها:

هل تملك الدول العربية والإقليمية وبعض القوى الدولية التي سارت برهانات أدت إلى الفوضى والعنف والإرهاب من جهة، واستنذاف مواردها من جهة أخرى، كما زادت من مصادر التهديد لأمنها..

هل تملك أن تراجع حساباتها وتقدم تنازلات واقعية عن بعض السياسات والأفكار ضد قوى التغيير والربيع؟

وهل تستطيع قوى التغيير والربيع العربي الأساسية توفير ضمانات وطمأنات للنظام العربي - وخاصة دول الخليج - بأنها

غير معنية بالتدخل في شؤونها الداخلية، وأنها لا تستهدف منها بل تعتبره جزءاً من أمن أقطارها؟!

وهل تستطيع إيران أن تخرج من أحالم الهيمنة والطائفية إلى رحاب الجوار الإسلامي مع العرب والأتراك نحو بناء منظومة عمل إسلامي واسعة لدعم قضايا الأمة الكبرى والتعاون في الاقتصاد والأمن والسياسة الدولية؟ وهل تنجح الزعامات الدينية - وخاصة الطائفية منها - في كبح جماح النطرف العقائدي، نحو سعة الأمة ورسالتها الإنسانية السمحنة العامة للقضاء على بؤر التوتر الطائفي صعبة المراس تاريخياً؟!

وهل تدرك الدول الكبرى - وخاصة روسيا والولايات المتحدة - أن إثارتها للعنف والفوضى في المنطقة ومحالبتها لرغبات الشعوب، لا توفر لمصالحها الاقتصادية الاستقرار ولا تخدم منها الوطني والقومي، وأن الحرية والديمقراطية في العالم العربي ستتعكس عليها أمّنا وسلاماً، وتوقف الإرهاب والعنف الذي يتهدّها، والذي يتعرّض له على يد مجموعات إرهابية تتمطّي مبادئ الدين زوراً، وتمتّي قضايا الأمة الكبرى حجة في حشد الأنصار واستقطاب الشباب، وهي تتلقى دعماً من استخبارات إقليمية ودولية لها مصالحها الخاصة؟

وما مدى قدرة الحركة الإسلامية السياسية على الاستفادة من هذه الفرصة لاستعادة دورها وتقديم تنازلات سياسية لشركاء الثورة أو الوطن نحو بناء شراكة سياسية حقيقة؟ وهل لديها الاستعداد للدخول في مصالحات قد لا تتحقق لها كل شروطها أو أهدافها أو تطلعاتها لنقل المنطقة نحو الاستقرار واستعادة أجواء التنافس السياسي بدلاً للفوضى التي ضربت مشروع الحركة الإسلامية وبقية المشاريع العربية للتغيير والإصلاح؟

وهل تتمكن بقية القوى السياسية العربية القومية واليسارية والليبرالية من استعادة نفسها الوحدوي وبوصلتها الوطنية والعربية بعيداً عن موقع التشفّي والحزبية ودعم برامج الإقصاء للإسلاميين واعتبارهم حجر عثرة في الطريق، وبالتالي العودة إلى مسار التعاون معهم لبناء دول مستقرة تتمتع بالحرية والديمقراطية أولاً؟!

بالتأكيد إن هذه عملية معقدة كما تُظهر الأسئلة وأطرافها، ولكنها ربما تبدأ بحل الأزمة في اليمن أو سوريا أو ليبيا أو مصر أو كلها معاً، لكنها أصبحت اليوم أقرب إلى الواقعية مما كانت عليه قبل عامين في ظل التحولات الأربعية الاتّفقة الذكر، والتي أكدت أن كل الأطراف تعيش حالة أزمة واستنزاف، وأنها كلها تبحث عن مخرج في السر والعلن، وأنها كلها أدركـت أن الخروج من حالة الفوضى والمخاطر إلى الاستقرار والتعاون والشراكة على كل المستويات سيحقق كثيراً من مصالحها وإن لم يكن كلها، ولكن بكلفة أقل، وبنسبة استقرار أعلى، ولفترـة أطول.

فلماذا لا يلـج الجميع إليها اليوم؟ ولماذا لا يبادر أحد من المعنيين بأخذ زمام المبادرة؟ وإن كان التفضيل أن تأخذ الأطراف العربية والإسلامية الأمر بيـدها لأن خلافـها الداخـلي سبـب أساسـي للتدخلـات الدوليـة، خاصةـ أن اندـلاع الأزمـات المـحلـية والـحـربـاتـ الأـهـلـيـةـ فيـ عـدـدـ مـنـ الدـوـلـ يـتمـ بـدـعـمـهاـ المـالـيـ وـالـعـسـكـريـ وـالـأـمـنـيـ وـالـإـعـلـامـيـ.

ولذلك فإن السعودية من جهة، وكلـا من تركـيا وإـيرـانـ منـ جـهـةـ أخرىـ، وبالـتعاونـ معـ تـيـارـ الإـسـلامـ السـيـاسـيـ المـعـتـدـلـ منـ جـهـةـ ثـالـثـةـ، هيـ الأـطـرـافـ الأـقـدرـ الـيـوـمـ عـلـىـ التـقـدـمـ بـمـبـادـرـةـ كـهـذـهـ، تـقـوـمـ عـلـىـ أـسـاسـ التـنـازـلـاتـ السـيـاسـيـةـ المـتـبـادـلـةـ بـيـنـ كـلـ الفـرـقاءـ لـمـصـلـحةـ بـنـاءـ الـأـوـطـانـ، وـحـمـاـيـةـ الـشـعـوبـ، وـاستـئـنـافـ الـحـيـاةـ السـيـاسـيـةـ، وـاستـعـادـةـ عـافـيـةـ الـاـقـتـصـادـ، وـوقـفـ هـدـرـ الدـمـاءـ وـالـأـمـوـالـ، وـتـحـقـيقـ مـصـالـحـاتـ وـطـنـيـةـ وـعـرـبـيـةـ وـإـسـلـامـيـةـ.

ومن شأن ذلك أن يحقق استجـمـاعـ القـوـةـ لـمـواـجـهـةـ التـحـديـاتـ الدـاخـلـيـةـ وـالـخـارـجـيـةـ وـطـنـيـةـ وـإـقـلـيمـيـاـ وـدـوـلـيـاـ بـشـكـلـ جـمـاعـيـ، وـعـلـىـ أـسـاسـ الـوـحـدـةـ الـوـطـنـيـةـ الـصـلـبـةـ، وـالـتضـامـنـ الـعـرـبـيـ وـإـسـلـامـيـ الـوـاسـعـ، وـتـقـصـيـ بـذـلـكـ -ـفـيـ حـالـ نـجـاحـهـ.ـ كـلـ أـدـوـاتـ الـعـنـفـ

والحقد والكراهية ومساراتها من داخل مجتمعاتها ومن بينها، مهما كانت القوى المعادية التي تقف خلفها.

الجزيرة نت

المصادر: